# التشريع القرآني:
# بين الإعجاز ودليل مصدره الرباني

**يوسف بيهقي**
IAIN Raden Intan Lampung
Jl. H. Endro Suratmin, Sukarame, Bandar Lampung 35131
E-mail: baihaqi_yusuf@yahoo.com

**Abstract:** ***The legislation of the Qur'an: Between the Miracles of the Qur'an and the Nature of* Rabbaniyatul Qur'ân *(the Divine Aspects of the Qur'an).*** The study about the miracles of the Qur'an has been done by many scholars of the Qur'an. Among the scholars themselves one may find many interpretations; Some of them limit on the its linguistical aspects while others add some aspects to the content of the Qur'an. The discourses about the miracles of the Qur'an, then, continues to grow until today. To find common ground in reconciling these differences, one needs to first understand the nature of "miracles of the Qur'an" and the nature of "*rabbaniyyatul Quran*"/ the divine aspects of the Qur'an. The miracles of the Qur'an can be seen as a sign that it comes from God, while the truth of the Qur'an that comes from God is not a part of the miracles. The hotchpotch between the two natures is, then, caused much confusion in the study of the Qur'an.

**Keywords:** the Qur'anic legislation, the miracles of the Qur'an

**Abstrak: al-Tasyrî' al-Qur'âni:** ***Antara Mukjizat Alquran dan Argumentasi Hakikat* Rabbaniyatul Qur'ân.** Kajian seputar aspek kemukjizatan Alquran telah banyak dilakukan. Para ulama pun memiliki banyak penafsiran tentang itu; ada yang membatasinya pada aspek bahasa dan ada pula yang menambahkan aspek-aspek lain dari kandungan Alquran. Diskursus tentang kemukjizatan Alquran pun terus berkembang hingga masa kini. Untuk mencari titik temu dalam mendamaikan perbedaan pandangan ini, seseorang perlu terlebih dahulu memahami hakikat "mukjizat Alquran" dan hakikat *"rabbaniyyatul Qur'ân"*. Kemukjizatan Alquran merupakan pertanda bahwa ia bersumber dari Tuhan, sedangkan kebenaran Alquran yang bersumber dari Tuhan bukanlah pertanda akan kemukjizatannya. Pencampuradukkan antara dua hakikat di atas inilah yang kemudian menimbulkan banyak kerancuan dalam kajian Alquran.

**Kata Kunci:** *tasyrî` al-Qur'ân, I`jâz al-Qur'an*

**مقدمة**

اختلف العلماء في وجوه إعجاز القرآن، وكان هذا الاختلاف متأخّرا بعد القرون الخيريّة الأولى، بمعنى أنّه لم يختلف الصحابة والتابعون وتابعو التابعين في وجوه الإعجاز، وإنّما حدث الاختلاف فيما بعد ذلك. والتشريع القرآني هو من وجوه الإعجاز المختلف فيه بين العلماء، منهم من يقول بأنه وجه من وجوهالإعجاز القرآني ومنهم من يقول بأن بيان القرآن هو الوجه الوحيد للإعجاز القرآني.

من خلال هذا البحث، حاول الباحث أن يعرض بحثه للقارئ الموقف المعتدل تجاه التشريع القرآني، بين موقف المكثرين القائلين بأن إعجاز القرآن لا تعد ولا تحصى والتشريع القرآني واحد منها، وموقف المقلين الذين يرون أنّ إعجاز القرآن منحصر في بيانه فقط.

البحث يبدأ بالحديث عن رأي العلماء في وجوه الإعجاز بعرض آرائهم عبر القرون المختلفة، بداية من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري. وبعده الحديث حول موقفنا تجاه هذه الآراء المختلفة، بعرض موقف معتدل، حاول الباحث من خلاله عملية التوفيق بين موقف المكثرين وموقف المقلين، وذلك بأهمية التفريق بين حقيقة "إعجاز القرآن" وحقيقة "مصدر القرآن الرباني". ثم الحديث بعده حول دلائل مصدر تشريع القرآن الرباني، بعرض دلائل تثبت على أنه من المستحيل لهذا التشريع القرآني بما لديه من المميزات والإيجابيات مقارنة بأي تشريع وضعي كان، أن يصدر من غير قوى الله الحكيم الخبير. وفي الختام يعرض الباحث نتيجة بحثه من خلال البحوث الثلاثة المتقدمة.

## رأي العلماء في وجوه الإعجاز

فيما يلي أشهر من تحدّثوا عن إعجاز القرآن، يتبيّن من خلاله مدى اختلافهم حوله:

تكلّم في القرن الثالث عن الإعجاز "النظّام"[١] المعتزليّ، وقال: إنّ القرآن معجز بالصرفة، أيْ أنّ الله صرّف الكفّار عن معارضة القرآن. فردّ عليه تلميذه المعتزليّ "الجاحظ"،[٢] وقال بالإعجاز البيانيّ، وقيل: إنّ الجاحظ ألّف كتابا سمّاه "نظم القرآن"، لكنّه لم يصلنا، وفقد فيما فقد من كتب التراث.[٣]

وتكلّم في القرن الخامس- العصر الذهبيّ لفكرة إعجاز القرآن في القرون السابقة -"الباقلانيّ"[٤] وهو عالم جليل له نظرات ثاقبة نافذة، وإضافات نافعة، اعتمد عليها كثير ممّن جاء بعده من العلماء، وقال إنّ وجوه الإعجاز ثلاثة: أوّلا: احتواء القرآن على تنبّؤات عن المستقبل. ثانيا: ذكر الحوادث الماضية وقصص السابقين. ثالثا: نظم القرآن وأسلوبه وبلاغته.[٥]

كما تكلّم في القرن السابع "القرطبيّ"،[٦] وعدّ وجوه الإعجاز بالعشرة، وهي:

أوّلا : النظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها.

ثانيا : الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

ثالثا : الجزالة التي لا تصحّ من مخلوق بحال.

رابعا : التصرّف في لسان العرب على وجه لا يستقلّ به عربيّ، حتّى يقع منهم الاتفاق من

---

[١] إبراهيم بن سيَّار، أبو إسحاق النظَّام، أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة، وله في ذلك تصانيف عدّة، وكان أيضا متأدّبا (الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م)، ج: ٦، ص: ٩٤).

[٢] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المصريّ " المعتزليّ "، المتوفّى سنة ٢٥٥ هـ، صاحب المؤلّفات، منها كتاب " البيان والتبيين " (حاجي خليفة، كشف الظنون، (بيروت: مكتبة المثنى)، ج: ١، ص: ١٩٤).

[٣] صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الربانيّ (الأردن: دار عمار، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م)، ص : ٨٣.

[٤] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن البصري، توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد (ابن خلكان، وفيات الأعيان، حقق أصوله وكتب هوامشه: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م)، ج: ٤، ص: ٩٨).

[٥] انظر: الباقلانيّ، إعجاز القرآن (القاهرة: مكتبة المصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٩٧٨ م)، ص: ١٢-١٣.

[٦] الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاريّ، الخزرجيّ، القرطبيّ، صاحب كتاب " التفسير الجامع لأحكام القرآن "، توفّي بمدينة بني خصيب من صعيد مصر سنة ٦٧١ هـ (ابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م )، ج: ٥، ص: ٤٧٨-٤٧٩).

جميعهم على إصابته في وضع كلّ كلمة وحرف موضعه.

خامسا :الإخبار عن الأمور التي تقدّمت من أوّل الدنيا إلى وقت نزوله من أميّ ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطّه بيمينه.

سادسا :الوفاء بالوعد.

سابعا :الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطّلع عليها إلاّ بالوحي.

ثامنا :ما تضمّنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام.

تاسعا :الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأنْ تصدر في كثرتها وشرفها من آدميّ.

عاشرا :التناسب في جميع ما تضمّنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف، قال تعالى (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلفًا كَثِيرًا).[٧]

وفي القرن الرابع عشر، شهد هذا القرن نهضة علميّة كبيرة، ولذلك ظهر علماء وأدبّاء وباحثون كثيرون، تحدّثوا عن الإعجاز حديثا جيدا، وأضاف بعضهم للإعجاز إضافات جديدة مفيدة، وقدموا تحليلات ودراسات نافعة قيمة. ولذلك يصح أن نعتبر هذا القرن بالعصر الذهبيّ الثاني لفكرة الإعجاز.

ويمكن أن نقسم العلماء الذين تحدثوا عن الإعجاز في هذا القرن إلى قسمين:

القسم الأول: دعاة الإعجاز البيانيّ، وهم يرون أنّ الوجه الظاهر البارز الواضح في إعجاز القرآن هو الإعجاز البيانيّ، كما أنّ منهم من حصّر وجه الإعجاز في بيانه فقط، أمّا مضمون القرآن الذي يدلّ على أنّ القرآن كلام الله كأخباره، وتشريعاته، وعلومه ... فلا، ومن أشهرهم: الشيخ أمين الخولي[٨]، وهذه ثلاثة نقط مهمّة لخّصناها من مقولة الشيخ في كتابه التي تؤيّد رأيه: أوّلا: إنّ الفهم الدقيق للألفاظ يحتم علينا فهمها في حدود الاستعمال الذي نزلت فيه، وهذا يحول بيننا وبين التوسّع في جعلها تدلّ على معان لم تُعرف بها وقت نزول القرآن. ثانيا: يجب الوقوف بعبارات القرآن عندما فهمه العرب الخلّص، ولا نتجاوز ما ألّفوه من علومهم، وأدركوه من معارفهم، لأنّ البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال. ثالثا: إنّ مهمّة القرآن دينيّة اعتقاديّة وليست علميّة.[٩]

والقسم الثاني: دعاة الإعجاز العلميّ: وهم لا يرون وجه الإعجاز في القرآن منحصر في بيانه، بل هناك وجوه أخرى غير البيان داخل ضمن وجوه الإعجاز القرآنيّ، ومن هذه الوجوه الكثيرة، إنّ وجه العلم هو المسيطر والغالب في أقوال المتحدِّثين عن الإعجاز في هذا القرن، ومن أشهرهم: محمد أحمد

[٧] سورة النساء (٤): ٨٢. وانظر: القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الفكر، طبعة ١٩٩٣ م)، ج: ١، ص: ٧١-٧٣.

[٨] من أعضاء المجمع اللغويّ بمصر. وُلد في قرية شوشاي بالمنوفية وتعلّم بالأزهر وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعيّ. عُيّن أستاذا في الجامعة المصريّة ثمّ كان وكيلا لكليّة الآداب إلى سنة ١٩٥٥ م، فمديرا للثقافة العامّة بوزارة التربية والتعليم إلى سنة ١٩٥٥ م، وبها أحيل إلى المعاش، توفّي بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م (خير الدين الزركلي، الأعلام (القاهرة: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م) ج: ٨، ص: ١٦).

[٩] انظر: أمين الخولي، التفسير – منهجه اليوم – معالم حياته (القاهرة: طبعة جماعة الكتاب، سنة ١٩٩٣ م).

الغمراويّ،[١٠] الذي قال في كتابه: "إنّ القرآن الكريم حجّة الله البالغة على عباده، وموضع الحجّة القاهرة فيه إعجاز الخلق، وينبغي ألاّ يكون إدراك إعجازه موقوفا على فصحاء العرب ومن لفّ لفهم، فإنّ الإنسانيّة كلّها مخاطبة به، مطالبة بالتسليم له أنّه كلام الله ..... هذا النوع من النظر والتفكير يؤدّي إلى نتيجة لازمة: أنّ لإعجاز القرآن نواحي غير الناحية البلاغيّة ..... الواقع أنّ موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرا برغم كلّ ما كُتب فيه، لكنّي لستُ أريد أن أتناوله إلاّ من الناحية العلميّة. وإذا فهمنا الناحية العلميّة على أوسع معانيها شملت كلّ ما عدا الناحية البلاغيّة من النواحي: تشمل الناحية النفسيّة، وتشمل الناحية التشريعيّة، وتشمل الناحية التاريخيّة، وتشمل الناحية الكونيّة. هذه النواحي هي التي ينبغي أن يشمر المسلمون للكشف عنها، وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث".[١١]

هذا تلخيص موجز لآراء العلماء واختلافهم حول وجوه الإعجاز، وكثرة الاختلاف في تحديد وجوه إعجاز القرآن قد يؤدي إلى البلبلة والاضطراب في مجال الدراسات القرآنية وبالتحديد في دراسات إعجاز القرآن، بل هذا الاختلاف أيضا قد يؤدي إلى التشويه في إعجاز القرآن ذاته، خاصة عند من لا يرى في القرآن إعجازا. وفي الصفحات التالية نعرض موقفنا من هذا الخلاف، أملا أن تتقلص بل تنتهي السلبيات الناتجة عن كثرة الاختلاف السابقة.

**موقفنا من هذا الخلاف**

لا مناص لمتكلّم في وجوه الإعجاز، من أنْ يحقق حقيقتين عظيمتين قبل النظر في هذه المسألة، وأنْ يفصِّل بينهما فصلا ظاهرا لا يلتبس، وأنْ يميِّز أوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التي تكون بينهما:

أولاهما: أنّ "إعجاز القرآن" كما يدلّ عليه لفظه وتاريخه، وهو دليل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على صدق نبوّته، وعلى أنّه رسول الله يُوحى إليه هذا القرآن، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يعرف "إعجاز القرآن" من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب، وأنّ التحدّي الذي تضمَّنته آيات التحدّي، إنّما هو تحدٍّ ببيانه لا بشيء خارج عن ذلك.

ثانيهما: أنّ إثبات دليل النبوّة، وتصديق دليل الوحي، وأنّ القرآن تنزيل من عند الله، كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه، لا يكون منها شيء يدلّ على أنّ القرآن معجز، ولا أظن أنّ قائلا يستطيع أنْ يقول إنّ التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة، بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن، من أجل أنّها كتب منزّلة من عند الله.

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحّة النبوّة، أمّا صحّة النبوّة فليست برهانا على إعجاز القرآن.

والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر، وفي دراسة "إعجاز

---

[١٠] صاحب الأبحاث الفريدة في العلم وفي الدين، سافر إنجلترا وتخصص في علوم الكيمياء والطبيعة، وعاد مدرسا لهما، ثم أستاذا بكليتي الطب والصيدلة بمصر (انظر: محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم (القاهرة: دار الإنسان، الطبعة الرابعة ١٩٩١ م).

[١١] محمد أحمد الغمراويّ، الإسلام في عصر العلم، ص: ٢١١.

القرآن"، قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديما وحديثا.[١٢]

يتبيّن من خلال هاتين الملاحظتين: أنّ الوجه الذي يُسمَّى به القرآن معجزا هو وجه واحد، وهو وجه البيان. وأنّ ما في القرآن من مكنونات الغيب ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كلّ ذلك بمعزل عن هذا التحدِّي المفضي إلى الإعجاز، وإنّ كلّ ما فيه من ذلك كلّه يُعدّ دليلا على أنّه من عند الله تعالى.[١٣]

وقد يقال: إنّ قضيّة الإعجاز البيانيّ تضعنا أمام مشكلتين رئيسيتين، واجهت عصورا قبلنا، كما تواجهنا نحن اليوم. وهما: كيف يتمّ فهم هذه القضيّة أمام انحدار السليقة العربيّة، أو أمام اختلافنا عن جيل التنزيل بوجه عام في باب اللغة والبيان. والمشكلة الثانية: كيف يؤمن غير العرب، والإسلام عامّ لجميع الناس؟!

والذين يتحدّثون عن هاتين المشكلتين اليوم، يريدون أن يستدلّوا بهما إلى ما ذهبوا إليه من وجود وجوه أخرى لإعجاز القرآن، من أمثال: الإعجاز العلميّ أو الإعجاز الغيبيّ أو الإعجاز التشريعيّ. ونحن لا ننكر أنْ تكون مضامين القرآن من أهمّ وسائل تعميمه والدعوة إليه، ولكن أنكرنا أنْ تكون مناط الإعجاز الذي وقع به التحدّي.

أمّا المشكلة الأولى فقد أجاب عنها بعض العلماء السابقين بأنّ هذا الإعجاز إذا كان لزم الأوائل – وهم من هم في باب البلاغة والفصاحة والبيان – فلأنْ يلزم سائر الأجيال من بعدهم من باب أولى!

إنّ "حقيقة" الإعجاز واقعة على كلّ حال، وإن عجزت بعض الأجيال عن إدراك سببه أو وجهه. ونحن نقول من وجه آخر–ونرجو ألاّ يكون في ذلك حيف أو تجاوز –: إنّ جيلنا اليوم قد يكون أقدر من أجيال سابقة كثيرة على إدراك بعض نواحي الإعجاز البلاغيّ. وما بين أيدينا اليوم من تراث نقديّ وأدبيّ، في لغة العرب وسائر لغات العالم، ينهض بنا إلى هذا المقام، أو يقوم على الأقلّ مقام تلك السليقة المطبوعة والبيان الموروث.

إنّ نظريّة النظم لم تكن إلاّ في عصر التصنيف، كما أنّ الحديث اليوم عن التصوير والنظم اللغويّ أو الموسيقيّ كان — من بعض وجوهه – صدى لتيّارات أدبيّة ونقديّة مترجمة أو منقولة.

ولعلّنا نملك أنْ نقول: إنّ التراث الأدبيّ والنقديّ الذي نملكه الآن، ونملك من خلاله أن نقوّم النصوص الأدبيّة ... يفوق ما كان عليه الوليد بن المغيرة[١٤] وغيره ممّن بهرهم القرآن.

ولن ينقطع هذا الخيط على كلّ حال ... والتحدّي بالقرآن قائم إلى يوم الدين.

وأمّا مشكلة غير العرب، فلا ندري هل ينتظر بعض الناس أنْ ينزَّل القرآن بكلّ لغات الأرض؟ ما

---

[١٢] تقديم للأستاذ محمود محمد شاكر في كتاب: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنيّة (بيروت: دار الفكر، طبعة ٢٠٠٠ م)، ص: ٢٤-٢٦.

[١٣] عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه (دمشق: المكتب الإسلاميّ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م)، ص: ٢٣٠.

[١٤] الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وكان الوليد يكنّى أبا عبد الشمس، وهو العِدل، لأنّه كان عِدل قريش كلّها، لأنّ قريشا كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوه وحده، ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة (ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، طبعة ١٩٦٥ م)، ج: ٢، ص: ٧١-٧٢).

كان منها، وما سيكون إلى يوم الدين؟ وهل ينساق هذا مع طبيعة الأشياء؟ ومع طبيعة الإيمان الذي أراده الله من الإنسان؟

أليس في لغات العالم لغة هي مثال اللغات، ينزل بها كتاب الله تعالى إلى الإنسان؟ وشعب هو – من حيث الفطرة والموهبة والاستعداد – هو مثال الشعوب، ينهض بحمل أعباء هذه الرسالة – ولو للمرّة الأولى على أقلّ تقدير – ويذيعها في العالمين؟

البحث هنا أوسع من أنْ تحيط به مئات الصفحات ... ولكن لنقل: يسع العجم ما وسع العرب، كما قال علماؤنا الأوائل. ولنقل: إنّ بعض وجوه الإعجاز – أي البيانيّ – تلزم حتى غير العرب. ولنقل: إنّ من حقّ – أو واجب – جميع الناس أنْ تعمّهم "اللغة المثال" – اللغة العربيّة – ما دام القرآن الكريم نازلا بلغة واحدة من لغات الأرض.

وإنّ في وسعنا أنْ نقيم الدليل لهؤلاء على أنّ هذا الكتاب الخالد هو كلام الله ... من وجوه أخرى كثيرة على كلّ حال. ولكن علينا أنْ نبقي الإعجاز الذي وقع به التحدّي في إطاره الصحيح.[١٥]

إنّ مشكلة غير العرب مع الإسلام والإيمان والقرآن والوحي تُحلّ بمنتهى اليسر، إنّنا لا نخاطب هؤلاء بالإعجاز البيانيّ، ولا ندعوهم إلى تذوُّق البيان القرآنيّ ... ولكن نخاطبهم بطريقة أخرى، هي أنْ نقيم لهم الدلائل الكثيرة من مضامين القرآن وموضوعاته على أنّه من عند الله، مثل: اللفتات العلميّة في القرآن، وأنباء الغيب في القرآن، وتشريعات القرآن ... وغير ذلك.[١٦]

وعلى سبيل المثال في الحياة الاقتصادية: يقول النورسيّ:[١٧] إنّ المدنيّة بكلّ جمعيّاتها الخيريّة، وأنظمتها الصارمة ونظمها الجبّارة، ومؤسَّستها التربويّة الأخلاقيّة لم تستطع أنْ تعارض مسألتين من القرآن الكريم بل انهارت أمامهما وهي في قوله تعالى (وَءَاتُوا الزَّكَـوٰةَ)[١٨] وقوله تعالى (وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَـوا).[١٩]

وإنّ أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنسانيّ إنّما هو كلمة واحدة: "إن شبعتُ، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع". كما أنّ منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضا: "اكتسبْ أنتَ، لآكل أنا، واتعبْ أنتَ لأستريح أنا".

نعم، إنّه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلاّ بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، أيْ بين الأغنياء والفقراء، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.

فالآن، إنّ الكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى

---

[١٥] عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص: ٢٥١-٢٥٣.

[١٦] صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الربانيّ، ص: ١١٨.

[١٧] ولد في أواخر عمر الدولة العثمانية في قرية نورس وهي إحدى قرى قضاء خيزان التابعة لولاية بتليس شرق الأناضول سنة ١٢٩٣ هـ، توفي في صباح يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩ هـ. كان من مؤلفاته: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (انظر: إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٦ م).

[١٨] سورة البقرة (٢): ٤٣.

[١٩] سورة البقرة (٢): ٢٧٥.

الحقد والحسد والصراع. فسلبت البشريّة الراحة والأمان لعصور خلت كما هو في هذا العصر.

فالمدنيّة بكلّ جمعيّاتها الخيريّة ومؤسساتها الأخلاقيّة وبكلّ وسائل نظامها وانضباطها الصارم عجزت عن أنْ تضمد جرحي الحياة البشريّة الغائرين.

أمّا القرآن الكريم فإنّه يقلع الكلمة الأولى من جذورها، ويداويها بوجوب الزكاة. ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ويداويها بحرمة الربا.[٢٠]

نقول للعلماء: إنّ الآية القرآنية التي تتحدث في موضوع الحياة الاقتصادية والتي صدقتموها أنتم بتجاربكم وعلومكم، دليل على أنّ القرآن كلام الله، وأنّ محمدا هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ الإسلام هو دين الصحيح، فتفضلّوا وادخلوا في الإسلام!

وهذا عكس ما إذا قلنا: إنّ هذه الآية بمثابة الإعجاز التشريعي في القرآن، ومعنى أنّها بمثابة الإعجاز: إنّنا نتحدّى الإنس والجنّ كافّة بإتيان التشريع مثل التشريع الذي في الآية.

عندما نتحدّاهم بذلك، فهل يأتوننا بالمطلوب أم يعجزون عنه؟ إنّهم سيأتوننا بالمطلوب، ولن يعجزوا عنه !!

وهذا معناه أنّهم نجحوا في التحدّي، وقدّموا المطلوب منهم، وهذا معناه أيضا أنّ القرآن غير معجز لهم، وهذا إبطال لإعجاز القرآن.

إذن فرق بعيد بين اعتبار اللفتات التشريعية في القرآن إعجازا تشريعيا، وبين جعلها دليلا يقينيّا على المصدر الربانيّ للقرآن. وهكذا بالنسبة لباقي اللفتات التشريعية في القرآن.

**دلائل مصدر تشريع القرآن الرباني**

هناك دلائل تؤيد على أن هذا التشريع القرآني من عند رب العالمين وليس من عند غيره من أي مخلوق كان، ومن بين هذه الدلائل:

١) مجيء هذا التشريع عن طريق نبي أمي لم يسبق له أن تلقى علما من أحد من الناس. يقول الله تعالى (هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِي الأُمِّيّنَ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ ايَتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتبَ وَالحِكْمَةَ وِإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَلٍ مُبِيْنٍ).[٢١]

٢) اعتبار التشريع القرآنى للأفعال الإنسانية الثابت منها والمتغير، وإعطاء كل نوع من هذه الأفعال ما يناسبه من الأحكام. فهذه الحقيقة تجعل الأحكام منسقة لا اضطراب فيها وتجعل الأحكام صالحة لكل زمان ومكان.

فالاعتقاد فى الله الواحد، ووجوب العبادات من صلاة وصوم وحج والحدود والقصاص وحرمة الفروج إلا بالنكاح الشرعي وحركة الأموال إلا بطريقها المشروع، كل ذلك وأمثلة من الأحكام نزلت لتحكم أفعالا، لا يستغني عنها بشر سوي يريد كمال سعادة نفسه.

أما القواعد العامة التى تعالج تحتها أحكام ما يستجد فمثل قاعدة التيسير وقاعدة الشورى

[٢٠] بديع الزمان سعيد النورسيّ، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: شركة شوزلر للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م)، ص: ٤٧٣-٤٧٤.

[٢١] سورة الجمعة (٦٢): ٢.

والعدل وتحريم الخبائث وحل الطيبات. فهذه ومثيلاتها تستجد تحتها صور ورسائل تقتضي الإجتهاد فيها لإعطائها الحكم الذى يتمشى مع مصلحة الشريعة.

إن التشريع القرآني جعل الأفعال الإنسانية المعتادة محورا ومدارا للأحكام، لأن هذه الأفعال المعتادة هي سبيل مصلحة الإنسان، ولكن اعتبار التشريع القرآني لهذه العادات الإنسانية المنتظمة لا يعني أن كل فعل معتاد هو محل اعتبار وإقرار القرآن له. فقد تنحرف بالناس عاداتهم وتميل بهم إلى سبيل الضرر. هنا يقف التشريع ضدها ويحرمها بتشريع أحكام توقف ذلك الانحراف وتعود بالعادة إلى سبيل المصلحة. فربما يعتاد الناس شرب الخمر وتكون هذه العادة فعلا منتظما عندهم أو يعتادون إمتهان المرأة. هنا يقف التشريع القرآني ليكشف مصالح البشر الحقة ويبين وسيلة حفظها وصيانتها، فيشرع للناس أحكاما تعارض هذه الأفعال التى اعتادها الناس لأنها انحراف برغبات بشرية وإتجاه بها إلى سبيل الفساد.

٣) جاء هذا التشريع القرآنى شاملا لضمان السعادة فى الدنيا والآخرة، حيث وضع البشر على الجادة التى تقودهم إلى الفوز بالسعادتين وذلك بإنزال الأحكام التى تضمن هذه النتيجة.

والحديث عن شمول التشريع القرآنى سيكون ذا جانبين:

الجانب الأول: شمول التشريع القرآنى لميادين الأحكام كلها: لقد بين التشريع القرآنى الأحكام العقائدية وبين الأحكام العملية. ومن أحكام القرآن العقائدية: الإيمان بالله والإيمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل ثم الإيمان باليوم الآخر. وهذه الأحكام العقائدية تتعلق بتوجهات القلوب ولكن أثرها يظهر فى اتباع أحكام التصرفات والعمل.

أما من أحكام القرآن التى جاءت لتوجيه تصرفات الناس وأعمالهم، أحكام تتعلق بالعبادات وأحكام تتعلق بالمعاملات. ومن أحكام القرآن التى نزل بها فى العبادات لتنظيم العلاقات بين الإنسان وربه، وجوب الصلاة والزكاة والصوم.

هذه أمثلة للعبادات التى شرعها الله تعالى في القرآن الكريم للناس لتنظيم علاقتهم بربهم، وهي بدورها أيضا تؤثر فى تنظيم صلتهم بعضهم البعض. وقد كانت هذه العبادات من الأحكام الثابتة التى لا تتغير، لأنها من الأفعال التي قد علم الله أنها تتعلق بأمر "هو الصلة بالله" يحتاج الناس إليه على مر العصور. فأوجبها تعالى ليمارسها الناس ويعتادوها ويلتزموا بأدائها كواجب على مر العصور.

ومن أحكام القرآن في المعاملات، يقول تعالى فى المعاملات المالية (يأَيُّهَا الذِيْنَ ءَامَنُوْا لاَ تَأْكُلُوْا أَمْوَلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ تِجرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ).[٢٢] وقال تعالى (وَلاَ تَأْكُلُوْا أَمْوَلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوْا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوْا فَرِيْقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ).[٢٣] بهاتين الآيتين تتبين أسس المعاملات الصحيحة العادلة التي لا ظلم فيها ولا جور. ثم توالت بعد ذلك الآيات التى توضح أنواع المعاملات المالية من ربا وغش وميسر وغيرها.

---

[٢٢] سورة النساء (٤): ٢٩.

[٢٣] سورة البقرة (٢): ١٨٨.

هـذه نمـوذج مـن الأحكـام القرآنيـة وليسـت استقصـاء. فهـذا الشـمول القـرآني لأنـواع الأحكـام المختلفـة قـد جـاء على صـورة لم يسـبق لهـا مثيـل فى التشـريعات الوضـعية، فكـان هـذا دليـلا على مصـدر تشريع القرآن الرباني.

الجانب الثاني: تضمن التشريع القرآني لأحكام كـل الأحـوال على مـرور الـزمن: فيمـا يتعلـق بهـذا الجانب، فإنا نقرر أن أحكام القرآن الكريم شملت كل الأحوال على تبدل الزمن والظروف. وذلك من غير تضييع لمصالح الناس ولا إجحاف بهم ولا اضطراب في موازين حياتهم.

ولقد أجمع العلماء المعتد بإجماعهم على مفهوم اشتمال القرآن الكريم على جميع الأحكام. فقد قرروا أنه اشتمل على أربعة أمور، وبها كان تضمن القرآن لكل حكم من الأحكام. هذه الأمور الأربعة هي:

- اشتماله على الأمر باتباع سنة الرسول صلى الله عليـه وسـلم بعـد اتبـاع مـا ورد في القـرآن مـن أحكام.
- اشتماله على أحكام خاصة مفصلة ومحددة. فقد اشتمل القرآن الكريم على أحكام مفصلة لأحكام جزئية معينة، ليست هذه الأحكام قواعد عامة تندرج تحتها جزئيات مختلفة ولكنها نفسها أحكام لجزئيات خاصة. وهذه الأحكام الخاصة تأتي في القرآن في بعض الأحوال مفصلة لا إجمال فيها، أى لا تحتاج إلى بيان بواسطة نص آخر من قرآن أو سنة، مثل وجوب الإيمان بالله وحده والإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر. ومثـل تحـريم نكـاح بعـض النسـاء ومثـل أحكـام الحـدود وتحـريم شـرب الخمـر وتحـريم أكـل لحـم الخنزير.
- اشتماله على قواعد عامة تنطبق على جزئيات كثيرة. من القواعد القرآنية العامة التى تندرج تحتها أحكـام وتتـأثر بهـا اجتهـادات هـي قاعـدة "إزالـة الضرر". حيث نجد هذه القاعدة في القرآن الكريم في أحكام تتعلق بالحالات التى يقع فيها الضرر على إنسان، فهذا الضرر يزال ولو أدى أحيانا إلى ارتكاب أمر حرمه الشرع مادامت مفسدة المحرم لا ترجح على مصلحة إزالة هذا الضرر.
- اشتماله على التعليل والاجتهاد.[٢٤]

**الخاتمة والاستنتاج**

فبعد أن تتبعنا البحوث الثلاثة المتقدمة، وتحليلها تحليلا علميا وموضوعيا، خلصنا إلى النتائج. تنوع العلماء في تحديد وجوه إعجاز القرآن، وكان هذا التنوع راجعا إلى تنوع العلوم التي تضمنه القرآن. هناك علاقة بين إعجاز القرآن والتحدي به، لأن القرآن لا يكون معجزا إلا إذا اقترن بالتحدي. وجود العجز بإتيان ما تحدى به القرآن هو الشرط الأساسي في كون القرآن معجزا، وبالعكس في عدمه. التشريع القرآني ليس وجها لإعجاز القرآن، لأن المتحدى به قادر على الإتيان بمثله. إن عدم انضمام التشريع القرآني في صف الإعجاز لا ينفي مصدريته الرباني، لكثرة الدلائل التي تثبت على ذلك.

---

[٢٤] انظر: علي أحمد محمد بابكر، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم (السودان، جامعة أمدرمان الإسلامية للنشر والتوزيع).

**مراجع البحث**


القرآن الكريم.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، طبعة ١٩٦٥ م.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، حقق أصوله وكتب هوامشه: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

ابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، القاهرة: دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٦ م.

أمين الخولي، التفسير – منهجه اليوم – معالم حياته، القاهرة: طبعة جماعة الكتاب، سنة ١٩٩٣ م.

الباقلانيّ، إعجاز القرآن، القاهرة: مكتبة المصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٩٧٨ م.

بديع الزمان سعيد النورسيّ، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة شوزلر للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م.

حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت: مكتبة المثنى.

الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

خير الدين الزركلي، الأعلام، القاهرة: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م.

عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، دمشق: المكتب الإسلاميّ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م.

علي أحمد محمد بابكر، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، السودان: جامعة أمدرمان الإسلامية للنشر والتوزيع.

القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الفكر، طبعة ١٩٩٣ م.

مالك بن نبي، الظاهرة القرآنيّة، بيروت: دار الفكر، طبعة ٢٠٠٠ م.

محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، القاهرة: دار الإنسان، الطبعة الرابعة ١٩٩١م.